الأصول النظرية للدراسات الايثنوغرافية في الإعلام الجديد
محاولة لتقسيم مستويات التحليل حول تطبيق الماسنجر

Theoritical foundations for ethnographic studies in the new media
An attempt to divide the analysis levels about Messenger application

هشام بطاهر [1]
جامعة جيجل الجزائر
betahar.hicham1@gmail.com
حمدي محمد الفاتح
جامعة جيجل الجزائر
hamdifatah@yahoo.fr

تاريخ الوصول 2020/03/31 القبول 2020/08/12 النشر على الخط 2021/01/30
Received 31/03/2020 Accepted 13/1081/2020.Published online 30/01/2021

ملخص :

تسعى الدراسة إلى المساهمة بتقديم أفكار وتصورات عن الأسس النظرية المتعلقة بالدراسات الإثنوغرافية في البيئة الإعلامية الجديدة التي تتصف بطابعها الرقمي والتقني بشكل كبير، وهي الصفة الجديدة تجبر المشتغلين في الحقل الإبستمولوجي على ضرورة التفكير المنهجي الجاد والدقيق في تقديم منهجية تتماشى مع الخصوصية الرقمية للحقل الإعلامي والاتصالي، ولتحقيق ذلك حاولت الدراسة تسليط الضوء على الماسنجر كأبرز تطبيق من أجل تشخيصه بشكل دقيق ومتعمق، وتقديم محاولة لتقسيم مستويات التحليل للباحثين والمشتغلين في هذا الحقل الإعلامي الرقمي، سيما في ظل غياب منهجية رقمية دقيقة للتعامل البحثي مع هذه الظواهر الاتصالية الحديثة، كما تعطي الدراسة تصورا بحثيا جديدا، بالنظر إلى تغيّر البيئة البحثية في الحقل الإعلامي من طابعها التقليدي الكلاسيكي إلى الطابع الرقمي التقني، وهذا ما يجعل من ضرورة تطوير الأدوات البحثية والمنهجية أمرا ضروريا لمجاراة التطور الرقمي الحاصل، خاصة أن الأدوات المنهجية تعتبر الوسيلة الرئيسة لتشخيص البحث العلمي وحلحلة مشاكله.

الكلمات المفتاحية: الأصول النظرية، المنهج الإيثنوغرافي، الماسنجر، الإعلام الجديد.

abstract:

The study seeks to contribute by providing ideas and perceptions on the theoretical foundations related to ethnographic studies in the new media environment, which is characterized by a large digital and technical nature, a new characteristic that compels workers in the epistemological field on the need for serious and accurate methodological thinking in presenting a methodology that is consistent with the digital privacy of the media and communication field, to achieve this, the study attempted to Highlight on the Messenger as the most prominent application for its accurate and in-depth diagnosis, and to make an attempt to divide the analysis levels for researchers and those working in this digital media field, especially in the absence of an accurate digital methodology for research dealing with these modern communication phenomena, as the study gives a new research perception, in view of the changing research environment in the media field from its traditional classic to digital technical nature, and this makes the necessity of developing research and methodological tools necessary to keep pace with the digital development taking place, especially that methodological tools are the main means for diagnosing scientific research and solving its problems.

Keywords: Theoritical foundations, Ethnographic approach, messenger, New media.

[1] – المؤلف المرسل هشام بطاهر، البريد الإلكتروني: betahar.hicham1@gmail.com

مقدّمـــــــة:

تتكون الورقة البحثية من مجموعة من العناصر المتعلقة بتشخيص الظاهرة الاتصالية في بيئتها الرقمية من خلال التركيز عل أبرز التطبيقات المستخدمة في العالم للاتصال الرقمي وتأخذ الدراسة تطبيق ماسنجر كتطبيق رقمي يسمح للأعضاء بالدردشة وتبادل الرسائل الرقمية بينهم بمختلف الأشكال والمضامين التي يوفرها هذا التطبيق.

تتناول في أول عناصر التغيرات التي شهدتها البيئة الرقمية في شقها ماقبل الإعلام الجديد إلى الإعلام الجديد وما بعده، وكذلك رصد مختلف التغيرات التي تشهدها هذه البيئة من أجل وضع التصورات المفسرة لهذه الدراسة، والتي أفرزت ظهور بيئة اتصالية جديدة وساهمت في انزياح ابستيمي في علوم الإعلام والاتصال بمختلف التشعبات والتمظهرات الجديدة، التي أفضت إلى ظهور بيئة رقمية جديدة تسمى بالحقل الشبكي وتقديم تبريرات لهذا الاختيار المعرفي.

وقد تعرضت الدراسة بالتحليل والتفسير للآليات المنهجية والتنظيرية وعرض مفصل للانتقال ببعض الخطوات الخاصة بالأصول النظرية، من خلال عرض التجاسر المعرفي بين المنهج الاثنوغرافي والنيتنوغرافي، وتم تذييلها بتقديم محاولة لقسيم مستويات التحليل لشرح عملية الاتصال عبر الماسنجر ونموذج رباعي للاتصال يشمل عدة مستويات للاتصال بداية بمستوى التحليل الكلي، المتوسط، الجزئي والنانو وتضمينه بعض الشروحات المبسطة لذلك.

الإشكالية

يستخدم مليار و300 مليون شخص تطبيق الماسنجر عبر العالم، حسب الإحصائيات ونتائج الدراسات المتعلقة بذلك والمعلن عنها (Smith, 2020)، وهو رقم يظهر أن الاتصال الرقمي عبر الماسنجر أصبح أبرز أشكال الاتصال الرقمي خلال العقد الثاني من هذا العصر، مما يستوجب تقديم دراسة علمية وعملية تراعي التغيرات المتسارعة التي تشهدها البيئة الرقمية، والخروج بنتائج تفيد مختلف المؤسسات، الاجتماعية الثقافية الاقتصادية، ...الخ

تقدم هذه الأرقام والإحصائيات مؤشرات استشرافية عن البيئة الإعلامية القادمة والخصوصيات التي تميز كل عنصر من عناصرها سواء تعلق ذلك بالمرسل، المستقبل، الرسالة، الوسيلة، التشويش، والسياق العام، والتي ينبغي أن يحضر لها أهل الاختصاص لمختلف الأدوات المنهجية والرؤى النظرية التي تتناسب وطبيعتها الجديدة، من أجل ضبطها بالشكل العلمي الدقيق.

تحتل الرسالة في هذه البيئة الجديدة عنصرا مهما للغاية في عملية الاتصال الرقمي حيث كشفت دراسة من عام 2019 تحميل تطبيق ماسنجر 700 مليون مرة خلال سنة 2019 فقط،كما كشفت أيضا الدراسة ذاتها وجود 17مليار صورة مرسلة عبر تطبيق ماسنجر شهريا (Smith، 2020)، مما يؤكد بشكل كبير أن أهم عنصر يتوجب دراسته بشكل عميق ودقيق هو عنصر الرسالة الإعلامية وما يدور حوله من أبعاد ومؤشرات تتطلب معالجة علمية ومحاولة تحليلية دقيقة.

تتطلب العملية التنظيرية مجهودات معرفية جادة من أجل وضع قواعد منهجية ونظرية تستجيب لشروط أهل الاختصاص من علماء فلسفة التنظير بشأن القواعد والأسس العلمية للتنظير، فضلا عن وضع المحاولة أمام الباحثين لإجراء دراسات حول الموضوع تأكيدا أو تفنيدا، ولأجل ذلك تطرح الدراسة السؤال الرئيس الآتي:

- ما هي الآليات العلمية لتقسيم مستويات التحليل لدراسة الماسنجر؟

ويتفرع من السؤال الرئيس السابق مجموعة من التساؤلات الثانوية:

- ما هي الخلفيات المعرفية التي تقوم عليها آليات تحليل الماسنجر ؟
- كيف يتم تقسيم الماسنجر إلى مجموعة من المستويات العلمية ؟
- فيم تتمثل الخصوصية العلمية لكل مستوى من مستويات تحليل الماسنجر؟

1.من الميتاميديا إلى البوست نيوميديا أو تاريخ تطور الاتصال الرقمي

مازال الوضع الاعتباري للبحث في مجالات علوم الإعلام والاتصال يعرف نقاشا واسعا حول الاعتراف به كمبحث علمي مستقل له مشروعية الوجود بين التقسيمات الجامعية المرعية (ميج، 2005، صفحة 5)

إن الفكرة التي أشار إليها الباحث بيرنار ميج سابقا تقدم تصورا علميا حول تموضع علوم الإعلام والاتصال في البيئة البحثية الجامعية بشكل عام، حيث أن الحديث حول الاعتراف بعلم معين في حدود سنة 2005 بحد ذاته يمثل تحديا كبيرا للمشتغلين في البحث العلمي الإعلامي من أجل تجاوز مرحلة الاعتراف واللااعتراف به، في الوقت الذي تعمقت مجموعة كبيرة من التخصصات المعرفية سيما التقنية والعلمية منها فيما يعرف بتخصص التخصص والتخصصات الدقيقة جدا، هذه المؤشرات البحثية المقارنة بين مختلف التخصصات المعرفية تمثل تحديا جديدا لعلوم الإعلام والاتصال من أجل تجاوز أسئلة أنطولوجيا ابستيميته كتخصص علمي، أي تجاوز أسئلة كانت تطرحها العلوم التقنية قبل أزيد من قرن من الزمن، والشروع الفعلي لضبط مواضيعه التي يدرسها وأدواتها المنهجية الخاصة به من أجل الانتقال من مرحلة ما قبل الميديا (ماقبل الوسائط) في مواضيع كالاتصال المشافهي، والمواجهي، إلى مرحلة ما بعد الوسائط الجديدة.

يشير التشخيص السابق لأدبيات البحث في علوم الإعلام والاتصال أن هذا الأخير يواجه تحديا خارجيا يتمثل في الخطوات الكبيرة التي خطتها باقي العلوم التقنية والطبيعية وأصبحت نتائجها البحثية تحظى بالقبول لدى البيئة الخارجية التي تتعامل بشكل مباشر مع مخرجات البحث العلمي بشكل عام، فضلا عن التحدي الداخلي والأساسي والمتمثل في التغييرات السريعة الحاصلة على مستوى مواضيعه بشكل يومي وتغيرها في وقت قصير لا يتجاوز نصف قرن منذ بداية مرحلة ما قبل الوسائط الإعلامية، ثم مرحلة الوسائط الإعلامية، وبعدها مرحلة ما بعد الوسائط الإعلامية أي الانتقال النسبي من الوسائط الإعلامية بمواصفات الوسائط الجديدة المتميزة بالتفاعلية بشكل كبيرة وإعادة أدوار المتلقي والمرسل، لتأتي الآن مرحلة الوسائط الجديدة مثل مواقع التواصل الاجتماعي بحجم التغييرات الحاصلة على مستوى الوسائط الاتصالية الجديدة التي نعايشها والتي تشهد تقلص الفجوة بين المرسل التقليدي (الصحفي) والمرسل الحديث (المواطن الصحفي)، كل هذه المراحل تمثل تحديا منهجيا وبراديغماتيا للمشتغلين في علوم

الإعلام والاتصال من أجل إعادة النظر في طرائقهم البحثية، ووضع منهجية خاصة لدراسة هذه الظواهر المستحدثة من جهة، ومن جهة ثانية ضرورة دراستها على الصعيد التنظيري بداية بالنمذجة وإعداد نماذج تصف وتجرد العلاقة، والمرور بوضع نظريات، وبراديغمات إلى غاية الوصول إلى مدارس خاصة تصف، تحلل وتفسر كل ظاهرة بحثية إعلامية في وقتها، مع ضرورة الاستشراف والتنبؤ العلمي للبيئة البحثية الإعلامية مستقبلا عن طريق تقديم محاولات تقسيم تحليلية وإعداد منهجية خاصة لدراسة ما بعد الوسائط الجديدة (البوست نيو ميديا) وذلك بشكل علمي دقيق ومنظم.

يقسم الباحث كلوس يانسن العناصر التي تسبق الإعلام إلى ثلاثة عناصر رئيسة متمثلة في جسم الإنسان على أساس أنه وساطة للاتصال كمرحلة أولى، ثم مرحلة استخدام الوسائط التكنولوجية كمرحلة ثانية، وبعدها استخدام الوسائط الرقمية كثالث مرحلة في البيئة الإعلامية.(Jensen, 2011, p. 9)

إن هذا التقسيم من شأنه أن ينبِّه الباحثين في الحقل الإعلامي إلى التغييرات الحاصلة في البيئة المميزة لمختلف الظواهر الإعلامية، بداية باستخدام الإنسان لذاته في العملية الإعلامية، إلى توظيف التقانة في هذه العملية الجوهرية، وهو التغير الذي يفرض ضرورة استحداث آليات جديدة تنسجم وطبيعة الظاهرة المدروسة، وتتناسق مع المكونات الأساسية للظاهرة وأدوارها، خاصة مع ظهور رموز تواصل وآليات تفاعل جديدة، فضلا عن الأشكال المستحدثة للاتصال الذاتي، وكذا ظهور رؤى نقدية جديدة لما تقدمه وسائل الإعلام، وعلاقة التأثير والتأثر بين الجمهور الإعلامي من جهة والوسائل الإعلامية من جهة ثانية، فضلا عن الأجهزة الاتصالية التي فرضت نفسها كمتغير حديث في البيئة الإعلامية من جهة ثالثة، هذه الأخيرة مهدت لاستحداث بيئة مغايرة تماما لتلك البيئة الإعلامية الكلاسيكية، تمزج بين الوسائل والأدوار القديمة والوسائل والأدوار الحديثة، وهذا ما يقدم مبرر علمي للاشتغال على تحديث وعصرنة الفعل البحثي بمختلف أشكاله.

عجزت المنهجية الكلاسيكية القديمة عن تفسير الظواهر الإنسانية الجديدة، مما يفرض على ضرورة تجديد وتقديم منهجية جديدة لمجاراة الجدة في الطرح وحداثة الموضوع الواجب توفرها في البحوث العلمية، وعلى سبيل المثال أصبح المنهج الإيثنوغرافي غير كاف لدراسة الإثنيات والسلوك الإنساني بكل تشعباته، فتشكل الإثنيات الإلكترونية والجماعات الإلكترونية والفرد الإلكتروني يفرضون على المنهج الإيثنوغرافي تغيير نظرته وتعديلها وفق مميزات وخصوصيات هذا المجتمع الجديد وإدخال بعض البرامج المنهجية الإلكترونية التي تساعده على التعرف على بعض سمات المجتمع والعلاقات الترابطية بين وحداته كما تمده ببعض المعادلات التي تضع الباحث أمام الصورة الواقعية لمجتمع البحث المدروس، و هنا بدأت تظهر وتتبلور معالم منهجية جديدة لدراسة الإثنيات الإلكترونية أسماها أهل الاختصاص النيتنوغرافيا لاشتقاقها من النيت net حيث أصبح الجمهور يقضي ساعات طوال في هذا الفضاء بل وأصبحت جزء مهم من حياته ويومياتهن وأنشطته اليومية بما في ذلك الاتصال كعملية جوهرية في حياته.

1.1. الانزياح الإبستيمي لعلوم الإعلام والاتصال

يطرح أحد الباحثين المهتمين بهذا الحقل العلمي مجموعة من الأسئلة الجوهرية، بداية بالسؤال حول حقيقة الاتصال التي يتحدث عنها الباحثون؟ ما هي الأسئلة التي تؤدي إلى تحقيقات علمية تستند إلى بيانات على الإنترنت؟ وما الأنطولوجيا التي تدعم

الاختيارات المنهجية للباحث؟ ثم يرى أن الحجة هنا متعلقة بشكل أساسي بالزاوية التي توجه منها الأعمال المستندة على البيانات الضخمة والتي تساعد في تكوين المسارات المنهجية والنظرية للإبحار الرقمي، وإلى تصميم بحث منهجي يدعم الآليات الخطية لتداول المعلومات. (Soares, 2018, p. 168)

إن هذه الخصوصية الجديدة التي أصبحت تطبع وتميز حقل علوم الإعلام والاتصال أصبحت تملي بشكل ضروري على الباحثين والمشتغلين في مجال المنهجية ضرورة تحسين أداوت البحث المنهجي سيما فما يتعلق بكيفية التعامل مع البيانات على الإنترنيت، حيث تعد البرامج الرقمية سواء المتعلقة بالتحليل الكمي أو الكيفي، بداية بالتأصيل المنهجي لهذه البرامج الرقمية، وكيفية تكييفها مع التساؤلات الكبرى المطروحة على مستوى بحوث الإعلام والاتصال، وهذا ما يؤثر بشكل مباشر على طبيعة البحوث وكيفية أجرائها خاصة بالنسبة لتلك البحوث الإعلامية التي تجعل من البيئة الرقمية حقلا لها، ولا شك أن هذا التحول من المنهجية الكلاسيكية إلى التأصيل ومحاولات إيجاد منهجية رقمية تستجيب لمتطلبات المادة المحللة وتراعي خصوصيتها، تعبر عن حالة منهجية صحية تسمى بالانزياح الإبستيمي من شكل كلاسيكي إلى شكل حديث وعصري.

هذا الانزياح الإبستيمي في الحقل الاتصالي من بداية تأسيس الفكر الاتصالي في ستينيات القرن الماضي إلى الآن يشكل طفرة نوعية في تطوير المنهجية الرقمية التي توظف الرقمنة حينا، والتحليل الخاص بالنتائج المرقمنة أحيانا أخرى، بشكل يجعل البيئة المنهجية في علوم الإعلام والاتصال تقترب من إحداث أسلوب جديد ومنهجيات بحث مستجدة تحلحل بعلمية وعمق الموضوعات الخاصة بالوسائط الجديدة.

2.1. لماذا الحقل النيوميدولوجي؟

ذكرت أدبيات التنظير في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية العلاقة الموجودة بين الدراسات التأصيلية والعقبات الوسائطية، وفي هذا الصدد نجد ريجيس دوبريه الذي ظل محكوما بتخطي عديد العقبات قبل أن يحصل على الإعتماد الجامعي ويحقق شروط إمكان تأسيس علم أو خطاب. (الزبيدي، 2020، صفحة 65)

تتضح الأهمية الكبيرة للجانب الوسائطي في التأصيل والتأسيس العلمي بشكل عام، وعلوم الإعلام والاتصال بشكل خاص، إذ يعد الخطوة العلمية الأولى والمهمة في هذه المرحلة بالضبط (مرحلة التقسيم التحليلي)، سيما مع الخصوصية الموضوعاتية التي تميز علوم الإعلام والاتصال عن غيره من التخصصات والحقول المعرفية الأخرى، في ظل التقارب الكبير بين كلمتي ميديولوجيا وإعلام، ورغم اعتراض الكثير من الباحثين على ربط المصطلحين ببعضهما البعض إلا أن الميدولوجيا حتى في مدلولها المفهومي المتعلق بالوسائطية والوسيلية لا تبتعد كثيرا عن المرتكزات المفاهيمية المتأصلة في علوم الإعلام والاتصال، مما يمهد لأرضية معرفية صلبة قصد توليد المطارحات المفاهيمية، لتكون هذه المطارحات بمثابة أداوت بحث مساعدة للباحثين في هذا المجال وتسهل تشخيص الظواهر الميديائية في سياقاتها الجديدة.

إن مدار إهتمام الميديولوجي هو نظام الإبلاغ والنقل والمسارات والركائز المادية أي الضجيج أو التشويش الذي يترك أثرا، وتعد الوسائطية "فيزياء للفكر" لأنها نظر في الفكر المتشكل في حوامل البث ودراسة كيفية إعطاء هذه الحوامل القوة للأفكار، في حين أن الفلاسفة لا يطرحون مثل هذه الأسئلة لتفاهتها. (الزبيدي، 2020، صفحة 67)

يشترك ريجيس مع بعض المساهمين الأوائل في نمذجة العملية الاتصالية على غرار شانون وويفر في نموذجهما الرياضي للاتصال، من حيث تركيزهما على التشويش في العملية الاتصالية، مع اختلاف طفيف في طريقة تعاملهم مع كل مصطلح فشانون يركز على التشويش من حيث تقسيمه إلى دلالي ولفظي ويربطه أيضا بمصطلح الأنتروبي، بينما يركز على مصطلح التشويش والضجيج من حيث بنيته كنسق جزئي داخل نسق أعم وهو الوسائطية، ولا شك أن هذا التقاطع المعرفي من شأنه تقديم تعدد في زوايا النظر إلى الظاهرة، مما يجعل الحقل الإعلامي متفتحا على باقي التخصصات مندمجا في واحدة من أهم القواعد التي أصبحت تطبع العلوم الحديثة ويتعلق الأمر بالتجاسر المعرفي، كما يشترك دوبري أيضا مع بيرلو في نموذج الاتصال المتعلق بمهارات المرسل أو القائم بالاتصال، ومن هذا المنطلق نجد أن الوسائطية قد أشارت إلى مجموعة من عناصر العملية الاتصالية بطريقة تختلف عن تلك النظرة التي شهدتها من طرف مختلف التيارات النظرة المؤسسة لعلوم الإعلام والاتصال، مما يفتح آفاقا واسعة وجديدة لدراسة الظاهرة الإعلامية في هذا العصر بطريقة منهجية تختلف عن سابقاتها وتؤصل وتؤسس لنظرة نمذجية، نظرياتية وبراديغماتية جديدة كليا وفق منظور شامل.

2. مداخل نظرية جديدة ومناهج متجددة:

عرفت البيئة التنظيرية في الإعلام الجديد مجموعة من المداخل الحديثة لدراسة هذا الحقل البحثي؛ مثل مدخل نيغروبونتي، كروسبي، مانوفيتش وغيرها من المداخل التي فتحت أبواب دراسة الظواهر الإعلامية الجديدة على مصراعيها منذ نهاية القرن الماض وبداية القرن الحالي، وهي المداخل التي تعد نتاجا علميا لمجموعة كبيرة من الدراسات التنظيرية السابقة وامتدادا معرفيا لها منذ بداية القرن الماض، وقد أشار بعض الباحثين إلى العلاقة الترابطية التي تجمع حقل التنظير بشكل عام وتطبيقات الإعلام الجديد، ما يعكس الأهمية الكبيرة للمقاربات النظرية في أي مجال علمي من حيث المساهمة في ضبط آليات علمية رصينة لإنتاج المعلومة في سياقها البحثي الذي تعالجه المشكلة البحثية.

عكس الشق التنظيري الذي تميز بالديناميكا والحركية المعرفية من خلال التطور المفاهيمي، التجديد المضموني والإنتاج المستجد في مسيرة البحث العلمي عموما وعلوم الإعلام والاتصال خصوصا، فإن مجال المنهجية المستخدمة في علوم الإعلام والاتصال وما يرتبط بها من أدوات بحثية بقيت على حالها، حيث لا تزال المنهجية والأدوات البحثية المستخدمة منذ منتصف القرن الماض هي نفسها المنهجية المستخدمة لحد الآن سواء تعلق ذلك بالملاحظة، المقابلة والإستمارة بالنسبة للأدوات البحثية، أو الوصف، التحليل، المسح، التأريخ والتجريب بالنسبة للمناهج، وهنا نلاحظ الفرق بين الإنتاج التنظيري والإنتاج المنهجي، وهي الحالة المعرفية التي من شأنها التأثير سلبا على نتائج الأبحاث الحديثة، سيما تعقد الظواهر المدروسة والمشاكل العلمية المعالجة حيث أن وجود نظريات جديدة لتفسير الظاهرة وحدها لا يكفي لذلك، وأصبح الأمر يتطلب تجاسرا منهجيا وتنظيريا لأجل التشخيص العلمي

الدقيق، والعمل على إيجاد تناسق بين مضامين النظريات الجديدة، مضامين المنهجيات المستجدة ومراعاة الأدوات البحثية الأنسب للقيام بذلك.

1.2 من المستوى الكلي (Macro level) و المتوسط (Meso level) إلى المستوى الجزئي (Micro level) والنانوي (Nano level)

يشرح الباحث كوين العملية التنظيرية على المستوى الكلي من خلال الاتصال الإنساني الآلي، حيث يقول إن معرفة مجموع الوظائف داخل النسق تمثل شرطا لنظام تفاعلي آلي في إطار نموذج المستوى الكلي، ويضيف بأن الرسوم البيانية من شأنها مساعدتنا في التعريف أكثر بهذه الوظائف لأنها تمكننا من النظر إلى هذا النظام على أساس أنه نسق يشتغل بطريقة آلية. (Koenig, 2007, p. 139)

يحيل ماكتبه الباحث كوين إلى أن العملية التنظيرية تتماشى وطبيعة المادة التي يتم تحليلها في إطار النسق العام، مع التركيز على إبراز طرق الاشتغال داخل هذا النسق بين وحداته الجزئية، ورغم أن ما تطرق إليه كوين يمثل ميلا معرفا نحو البراديغم البنائي الوظيفي إلا أنه يحمل في مضمونه المعرفي بعض المفاهيم الخاصة بالتفاعلية الرمزية والنموذج الآلي أيضا، وهذا ما يعطي بعدا جديدا لدراسات المستوى الكلي بالنسبة للعصر الأكاديمي الحالي من خلال توظيف مجموعة من النظريات والبراديغمات في دراسة واحدة مثلما هو الحال بالنسبة للمنهجيات المختلطة التي أصبحت تمزج بين الكم والكيف في دراسة واحدة، مما يفتح آفاق البحث العلمي مستقبلا أكثر مرونة وسلاسة في تعاملها مع المعطيات التوثيقية والمعرفية قصد الوصول إلى نتائج أكثر ارتباطا بالتساؤلات الفرعية للدراسة وتساؤلها الرئيس، ويساعد من جهة عملية على الدراسة الكلية للماسنجر كوسيلة تواصلية رقمية في عصر الرقمنة، وذلك من خلال ربطها بالفضاء العمومي بشكل عام، والأدوار الاتصالية الجديدة التي باتت تلعبها هذه الوسائط سواء تعلق ذلك بتغير خصائص القائم بالعملية الاتصالية بين المرسل والمستقبل، تغير السياق الاتصالي العام، تغير عنصر رجع الصدى، أوالتشويش.

بين دراسة المستوى الجزئي والمستوى الكلي في دراسة الظواهر البحثية يرى الباحث بيير بورديو بوجود مستوى آخر للتحليل يتوسطهما والمعروف بالتحليل المتوسطي meso level ، حيث يقول في عنصر الممارسات الإعلامية الجديدة وعلاقتها بالإطار التنظيري أن المفهوم التحليلي لـ "الحقل" يسمح بفهم الكون الاجتماعي على أنه يتكون من مجموعة من الحقول المستقلة نسبيا. (Ida Willig، 2015، صفحة 9)

انطلاقا من التصور المعرفي الذي ذهب إله بورديو يتضح أن المستوى المتوسطي في التحليل المتموقع بين تحليل المستوى الكلي وتحليل المستوى الجزئي إنما يتعلق بالعلاقة الموجودة بين الأنساق الجزئية كلبنات من النسق الكلي وكذا الأدوار التي تؤديها داخل النسق الكلي، حيث نجد في تطبيق ماسنجر مجموعة من الأدوار الاتصالية على اختلاف أنواعها داخل النسق العام للشبكة الرقمية والفضاء الإلكتروني أن يظهر الماسنجر كنسق جزئي في وسط هذا النسق الكلي، كما أنه يتضمن أيضا مجموعة من الأدوار في إطار

النسق العام كالتواصل بين المستخدمين، الترفيه باستخدام بعض الألعاب عبر التطبيق نفسه، والتسلية من خلال عدد كبير من التطبيقات المتنوعة الموجودة ضمنه.

غير أن المتعمق أكثر في سياقية ونسقية تطبيق ماسنجر يجد أن ارتباطه بالنسق العام لا يقتصر على الارتباط الوظيفي فحسب من خلال ما تم ذكره حول بعض الأنشطة المصاحبة له كالترفيه، التسلية والتثقيف وإنما هو مرتبط بشكل أساس بأشياء قد لا تبدو ظاهرة للوهلة الأولى أو تم تناسيها ويتعلق الأمر بالسياق التقني الذي باتت تعمل في إطاره هذه التطبيقات مما يجعلها تختلف كلية عن سابقاتها من الأشكال الاتصالية الأخرى، حيث يمكن أن نطلق عليه وسائط الوسائط الاتصالية، وقد يبدو الغموض والتعقيد في المصطلح الأخير غير أن الممارسة اليومية البسيطة لهذه التطبيقات تجيب عن ذلك، حيث أن تطبيق الماسنجر كعنصر اتصالي بين المرسل والمستقبل غير كاف لممارسة الاتصال بعيدا عن نوع معين من الهواتف النقالة التي تسمى هواتف ذكية أو حواسيب من أجل تحقيق جزء من العملية الاتصالية في الوقت الراهن، وهذا يعتبر شرطا تقنيا لتحقيق التواصل حيث تنقسم الوسيلة إلى شق مادي محسوس هو الهاتف الذكي أو الحاسوب، وكذا ضرورة توفر عنصر رقمي آخر هو التطبيقات بشكل عام وتطبيق ماسنجر بشكل خاص، فضلا عن ضرورة توفر عنصر ثالث في الوسيلة فقط ويتعلق الأمر بالإنترنيت إذ أن وجود هاتف ذكي وتطبيق ماسنجر مثبت بداخله غير كاف للقيام بالعملية الاتصالية إذا لم تتوفر شبكة الإنترنيت، ولا شك أن كل هذه التعقيدات تفرض على المهتمين بتحليل وتفسير الظاهرة الاتصالية الرقمية في شكلها الحديث ضرورة استحداث أبعاد أخرى لدراسة وتحليل الظواهر الاتصالية تتجاوز تحليلات المستوى الكلي والجزئي وتتعمق في التحليل المتوسطي لإظهار العلاقة الموجودة في كل عنصر من عناصر الظاهرة الاتصالية الجديدة بشكل أوضح وأدعى للفهم كمرحلة بحثية أولى، ثم التحليل والتفسير كمرحلة عملية لاحقة.

ينطبق ذات التعقيد على اللغة التواصلية المستخدمة التي تجاوزت اللغة الرمزية، الملفوظة، المكتوبة، المرئية بل جمعت كل هذه الأشكال الاتصالية دفعة واحدة ففي دردشة واحدة ولمدة دقيقة من الزمن الاتصالي أو أقل يمكن أن نرسل رمز الإعجاب بفكرة مكتوبة أرسلها صديق ماسنجري، بعد أن أرسلنا له صورة فوتوغرافية لنا قبل أن نجري مكالمة بصرية بالكاميرا، كل هذه الرموز مكنت من أن تجتمع في أكثر من بيئة ماسنجرية واحدة، سواء كان ذلك في اتصال جماعي بين مجموعة من الأشخاص، ثنائي سواء كان ذلك بدردشة عادة أو في الدردشة السرية التي تتميز ببعض الخصوصيات مقارنة بنظيرتها الدردشة العادية كخاصية المسح التلقائي للرسائل، وتوقيت المسح والحذف التلقائي لها، وكذا الاتصال الذاتي أين نرسل أحيانا مستندات وفيديوهات وأشياء تدخل في قائمة اهتماماتنا نرغب في تخزينها أو التعامل معها قادم الأيام فنرسلها إلى ذواتنا الافتراضية.

يظهر بشكل جلي وجود فوارق نوعية بين الاتصال التقليدي خلال القرن الماض والاتصال الحديث الخاص بوسائط الوسائط الاتصالية، هذا الأخير الذي يعد الاتصال الماسنجري أهم أنواعه بات بحاجة ماسة إلى تراث نظري ومنهجي تأصيلي عميق جدا، قصد تشخيصه وتوصيفه بشكل علمي وعملي من أجل إحداث تناسق وتوازن بين البيئة التنظيرية والمنهجية والبيئة العملية لهذه البيئة الاتصالية الحديثة.

2. التجاسر المنهجي بين الإيثنوغرافيا والنيتنوغرافيا

يشير الباحث **راي إيزون** في ورقة بحثية حول التحديات المنهجية للبحوث المتداخلة التخصصات: إلى ثلاث مداخل وجب على الباحث في هذه الحالة أخذها بعين الاعتبار وهي: وجوب تقديم نموذج للبحث التطبيقي، ضرورة فهم نوع وحالة البحوث، استكشاف وفحص مختلف التغييرات الموجودة في أفكار الباحثين والمفكرين عبر الأزمنة والتي تزيد من فهم المقاربات النظامية حسب عصرها(Ray, 2008) ، وفقا للنموذج المبين في الأسفل.

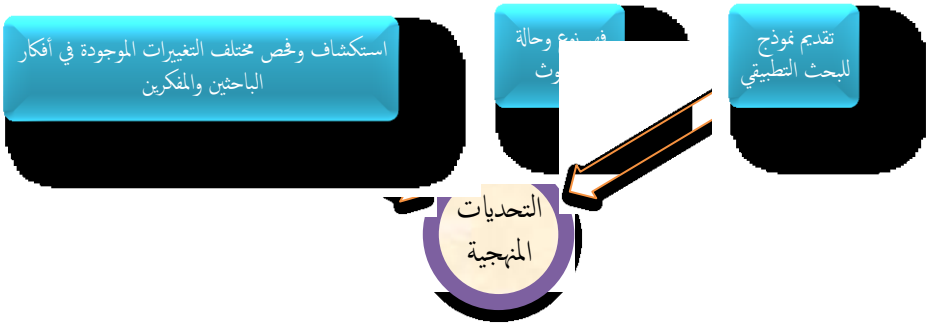

(شكل 1: نموذج راي إيزون، 2008)

بالنسبة للمدخل الأول المتعلق بتقديم نموذج بحث تطبيقي تقني، فإن علوم الإعلام والاتصال بما تحمله من خصوصية جمعها ومزجها بين الشق التقني من جهة، والشق الوسيلي من جهة أخرى، وما يتضمنه من وسائل ومعدات تقنية تشتغل على التواصل بين الآلة والآلة، الآلة والإنسان، الإنسان والإنسان عن طريق الآلة، أصبحت تدفع هذا المجال البحثي إلى ضرورة إدخال الرقمنة على مناهج التحليل توازيا والبيئة الجديدة، فمن غير المعقول التعامل بمناهج كلاسيكية لدراسة ظواهر رقمية جديدة ومستحدثة بشكل يومي، فضلا عن كونها ملزمة بالتعامل مع هذه الوسيلة من خلال محيطها الاتصالي الجديد (Eco-communication)

أما الجانب البحثي فقد أرسى الكثير من الباحثين منهجية خاصة بذلك سواء كانت كمية أو كيفية حسب طبيعة المعالجة والنتائج المتحصل عليها، بداية من الباحث بيرلسون وإرساء قواعد منهج تحليل المحتوى، مرورا بدوسوسير، بيرس، وإيكو واللبنات الأولى للمنهج السيميولوجي، وصولا إلى المنهج الإيثنوغرافي في آخر مستحدثاته المنهجية المطبقة في الإعلام الجديد ومواقع التواصل الاجتماعي ويُقصد بذلك المنهج النيتنوغرافي الذي يشتغل على دراسة الشعوب الرقمية وطبيعة التواصل فيما بينها.

إلا أن تغير المضمون الإعلامي من محتواه الكلاسيكي (كتابة، نصوص، تسجيل صوتي، فيديوهات) إلى المضمون الرقمي أو ما يعرف بالنص الفائق الذي يجمع بين كل هذه الفئات والأصناف السابقة روابط إلكترونية، إحالات، هاشتاغات، تعاليق، مشاركات، متابعات،...الخ، استوجب منهجيا استحداث منهجية جديدة، لا تتعلق بنوع البيانات المتحصل عليها، ولا بأسلوب المعالجة، ولا بطبيعتها ونوع المادة المراد تحليلها، وإنما التعامل ببراغماتية ابستمولوجية تتعلق بالأهداف الخاصة بكل دراسة، كلبنة

أساسية لتصبح بعدها التساؤلات الفرعية تابعة لأهداف الدراسة وليس العكس، لأن إلحاق الأهداف بالتساؤلات من شأنه أن يؤثر سلبا على البحث العلمي، ويوجهه نحو تساؤلات كلاسيكية في العادة.

يتوجب على المشتغلين في الحقل المنهجي بشكل عام والمنهج الإيثنوغرافي بشكل خاص الانتقال من دراسة سكان الواقع إلى سكان المواقع، والتحول إلى المنهج النيتنوغرافي في الفضاء الرقمي بكل مضامينه وأشكاله، إذ أننا لا نجد اختلافا في البيئة الاتصالية الجديدة، أو الرسالة أو الوسيلة فحسب، بل اختلافا في العينة المدروسة أيضا نجد إختلافا جوهريا بين العينات الكلاسيكية والعينات الرقمية إذا ما قورنت بالمعطيات الواقعية، حيث أن رقم العينة إذا كان 100 في الواقع على سبيل المثال، فإن 100 حساب فيسبوك في البيئة الرقمية لا يعني أن عدد العينة في الواقع هو 100 فعلا، حيث من الممكن أن يكون 50 شخصا لكل شخص حسابين على الفيسبوك، هذا الاختلاف الواضح هو ما يدفع أكثر إلى ضرورة استحداث المناهج الرقمية، وتوظيف الرقمنة وتكنولوجيا الاتصال في دراسة البيئة الرقمية بكل تغيراتها، وعلى سبيل المثال فإنه سيكون من العبث المنهجي والعلمي التعامل بمنهجية كلاسيكية لتوصيف وتشخيص عينات رقمية، على سبيل المثال تطبيق أدبيات المنهج الإيثنوغرافي في بيئة رقمية غرف الدردشة في الماسنجر تتضمن عينات إلكترونية من المحتمل أنها تتضمن أكثر من حساب لشخص واحد فيتم التعامل معه على أساس أنه اتصال جمعي، في حين أنه اتصال ثنائي.

3. أشكال الاتصال الماسنجري

يعتبر الفضاء العمومي من المفاهيم الملازمة لكتابات المفكر الألماني يورغن هابرماس و من المفاهيم الملازمة لأفكار الحداثة و قيمها التنويرية، حيث أسئلة عديدة يُثيرها هذا المفهوم تعلّقت بطبيعة تشكُله في مختلف أشكاله عبر نماذج سيرورته، بدءًا بصحافة الرأي إلى الإذاعات الجهوية المحلية إلى التلفزيون الفضائي إلى الميديا الجديدة أين تقع ثنائية المجموعات الافتراضية و الشبكات الاجتماعية في صلب عملية الاتصال السياسي، على اعتبار أن الاتصال الافتراضي هو الشكل الأقرب للتفاعلية البين ذاتية الذي يفترض أن تحققه وسائل الاتصال الجماهيري، حيث إمكانية العبور تبدو متاحة دون حدود زمنية أو مكانية لإبداء الرأي و النقاش العام. (البار، 2017، صفحة 143)

تشكل المجموعات الافتراضية والشبكات الاجتماعية محورا أساسيا في دراسات الجمهور الرقمي، وكذا بيئة لعملية تواصلية رقمية لدراسة مختلف التغيرات الحاصلة على مستوى الاتصال في الوقت الحالي، ولأجل ذلك ركزت الورقة البحثية على المجموعات الافتراضية داخل الشبكات الاجتماعية، من أجل معرفة أشكاله وخصوصيات هذا الجمهور الجديد بناء على طبيعة الاتصال والبيئة الاتصالية.

وتعتبر الأرقام والإحصائيات المتعلقة بالاتصال الرقمي عبر الماسنجر بمثابة مؤشر قوي ودليل قاطع على أن البيئة الرقمية أصبح وجها من وجوه الحياة التي نعيش خلال هذا العصر، حيث يحتل تطبيق ماسنجر المرتبة الأولى في الفئات العمرية من 18 سنة إلى أزيد من 60 سنة متفوقا على باقي مواقع التواصل في الولايات المتحدة الأمريكية.(Bucher, 2020)

وقد شهد الاتصال الرقمي عبر الماسنجر كغيره من أشكال الاتصال الأخرى مجموعة كبيرة من الأشكال والأنواع حسب المتغيرات والمؤشرات، مما جعل من مأمورية ضبطه وتفسيره وتحليله أمرا في غاية الصعوبة، بسبب قلة الأدوات البحثية المنهجية والنظرية التي تهيئ له الإطار المعرفي لتشخيصه علميا.

ولأجل ذلك قدمت الورقة تقسيمات لأشكال الاتصال عبر تطبيق ماسنجر إلى مجموعة من الأشكال والأنواع تبعا لمتغيراته إلى:

1.4. حسب غرفة الدردشة:

تمثل غرف الدردشة في تطبيق ماسنجر البيئة الاتصالية العامة، المحددة لأشكال الاتصال والموفرة لأدوات التواصل على اختلاف أنواعها مكتوبة من خلال اللوح الرقمي للحاسوب أوالهاتف الذكي وهو الذي يظهر بشكل رمز أيقونة المفاتيح ومن خلاله يتم الاتصال بالكلمات بمختلف اللغات والرموز والاختصار والأشكال، وكذا المرئي من خلال رمز الكاميرا بالغرفة الذي يسمح باجراء التواصل عبر الكاميرا بين شخصين أو عدة أشخاص، فضلا عن الاتصال الصوتي من خلال مكالمة مسموعة أو إرسال تسجيل.

1.1.4. غرفة الدردشة العادية:

هي علبة حوار رقمي تسمح لأي شخصين أو أكثر يملكون حسابا على تطبيق ماسنجر، بالتواصل مع بعضهما البعض بعد قبول أحدهما للآخر، أو التواصل بين الأصدقاء المشتركون عبر حساب فايسبوك، وفي هذه الحالة يشترط أن يفعل المشترك خاصية استقبال الرسائل من غير الأصدقاء، وتشكل خاصية عدم تفعيل استقبال الرسائل بمثابة حائل يمنع وصول الرسالة الماسنجرية من طرفين وتبقى من طرف واحد، في شكل أقرب إلى الاتصال الأحادي، يزول مع قبول الطرف الثاني لرسالة الآخر.

2.1.4. غرفة الدردشة السرية:

تمثل هي الأخرى علبة حوار بين شخصين، تتطلب هذه الغرفة وجود صديقين على الفايسبوك أو الماسنجر من أجل الانتقال من الغرفة العادية إلى الغرفة السرية وذلك من خلال أمر رقمي ضمن قائمة الأوامر الموجودة بالغرفة العادية، وتختلف الغرفة السرية عن العادية من خلال توفير مجموعة من الميزات غير الموجودة في الغرفة العادة مثل تحديد توقيت للحذف الآلي للرسالة حسب اختيار الشخص المتصل.

2.4. حسب عدد المتصلين

كغيره من أشكال الاتصال التقليدي ينقسم الاتصال الإلكتروني عبر تطبيق ماسنجر حسب عدد المتصلين إلى ثلاثة أنواع، وكل نوع من هذه الأنواع له مجموعة من المزايا والأهداف التي تتمايز وتختلف حسب طبيعة المتصلين، وهذه الأشكال هي:

1.2.4. اتصال ذاتي:

يتمثل هذا النوع من الاتصال في حساب ماسنجري واحد فقط أن يتم إرسال مختلف الرسائل الصوتية، الملفات، المستندات، الصور والرموز إلى من طرف صاحب الحساب، وذلك بهدف الاحتفاظ أو تخزين هذه الرسائل بغية الإطلاع عليها واستخدامها لاحقا، أو لسهولة استرجاعها.

2.2.4.اتصال ثنائي

يكون هذا الاتصال بين حسابين ماسنجريين بعد قبول أحدها لطلب الآخر، وهو الذي يحمل نفس مواصفات وخصائص غرفة الدردشة العادية، إذ يكمن الاختلاف الوحيد في مؤشرات التصنيف، وفي حال عدم قبول أحدهما لرسالة الآخر بعد تلقي رسالة وعدم الرد عليها فإن ذلك يدخل فيما يعرف بالخلل الاتصالي.

3.2.4.اتصال جماعي

يعرف هذا الاتصال أيضا بمجموعة الماسنجر، وذلك بسبب وجود جمع من المستخدمين في غرفة دردشة واحدة يسمون أعضاء المجموعة، أين يتم تبادل الرؤى ووجهات النظر من مختلف الزوايا حسب توجهات كل عضو من أعضاء المجموعات، تجمعهم عادة نفس المواصفات والاهتمامات، كمجموعة المهندسين، مجموعة طلبة الصيدلة، مجموعة طلبة العلوم الإنسانية على سبيل التمثيل لا الحصر، يملك مؤسسة المجموعة الحق في إضافة أو حذف عضو وتغير اسم المجموعة كذلك، فضلا عن إمكانية التفاعل بين الرسائل التي يتواصل بها أعضاء المجموعة تعلقا أو باستخدام رموز الإيموجي السبعة (أعجبني، لم يعجبني، أحزنني، أضحكني، أثار استغرابي، أغضبني، أحببته).

3.4. حسب اللغة المستخدمة

بدورها اللغة تمثل عنصرا مهما في عملية التواصل الرقمي الماسنجري، سيما في ظل التعدد الكبير لأشكاله وأنواعه حسب اللغة المستخدمة، والتي تزداد بشكل دوري مع كل إضافة رقمية وأمريات إلكترونية جديدة في غرف الدردشة.

1.3.4.المكتوبة

هي المحادثة التي تتم عن طريق الكتابة الرقمية بلوح المفاتيح في شكل حروف وكلمات وجمل للتواصل في غرفة الدردشة الماسنجرية بين مستخدم واحد أو أكثر.

2.3.4.الشفهية

يتمثل في تواصل عبر غرفة الدردشة الماسنجرية بين شخصين أو أكثر، باستخدام مكالمة صوتية مباشرة، أو القيام بتسجيلات صوتية وردود تسجيلية صوتية للمتحدثين، أو تسجيلات صوتية لأشخاص آخرين تم تحويلها عبر مختلف الحسابات الرقمية.

3.3.4.المرئية

تعتبر المكالمات التي تجرى بالصوت والصورة عن طريق الماسنجر أبرز مثال للاتصال المرئي في غرف الدردشة، أين يوفر خاصية التواصل بالصوت والصورة، مدعم ببعض المرشحات والفلاتر لإضافة بعض اللمسات الفنية البصرية أثناء المكالمة، ويشترط الماسنجر العادي من أجل تحقيق هذا الشكل الاتصالي، لأن الماسنجر لايت لا يسمح بإجراء مكالمات مرئية.

4.3.4.الرمزية

هو شكل من أشكال الاتصال الالكتروني عبر غرفة الدردشة ماسنجر، يستخدم فيه المدردش جملة من لغة الرموز من بينها الإيموجي، والإيموتيكون، والصور المتحركة في شكل gif، الملصقات وغيرها من الرموز.

5.3.4.هجينة

يجمع هذا النوع مزيج بين جميع الأنواع السابقة، حيث يتضمن جمل، كلمات وعبارات، رموز، تسجيلات صوتية مكالمات مرئية، ويرجع استخدام هذه المضامين المتنوعة حسب الميولات والرغبات الخاصة بكل مستخدم إلكتروني.

4.4.حسب الآنية:

يسمح تطبيق ماسنجر بإجراء اتصالات فورية أو غير فورية وذلك حسب عند الاتصال بشبكة الانترنيت من عدمه، وكذا رغبة طرفي أو أطراف الاتصال في المحادثة.

1.4.4.اتصال فوري

هو الاتصال الذي يكون فيه إرسال واستقبال الرسائل الإلكترونية عبر تطبيق ماسنجر بصفة آنية في حينها، سواء كان ذلك عبر مكالمات مرئية، تسجيلات صوتية، جمل أورموز، وهو ما يضفي جو من التفاعل المباشر والفورية بالنسبة لهذا الشكل الاتصالي الرقمي.

2.4.4.اتصال غير فوري

هو أحد أشكال التواصل التي يكون فيها أحد أعضاء غرف الدردشة متصلا بشبكة الانترنيت دون العضو الآخر أو الأعضاء الآخرون، حيث يتم إرسال الردود بعد مدة من استقبالها، تقصر أو تطول حسب معدل استخدام هذه الغرفة من طرف العضو، أو حسب رغبته.

5 .محاولة لتقسيم مستويات التحليل الماسنجري

بعد عرض تاريخي علمي لأشكال الاتصال الماسنجري وما يرتبط به من معلومات، تختم الورقة البحثية آخر عناصرها بتقديم محاولة لتقسيم مستويات التحليل الماسنجري قصد تفسير الظاهرة الاتصالية عبر الماسنجر مراعين لما تم ذكره واشتراطه في العمل التنظيري من طرف أهل الاختصاص، ويأتي هذا المسعى نتيجة قلة هذا الفعل الأكاديمي في البيئة العربية رغم أهمية العملية كأول خطوة لتقديم البحوث الرصينة.

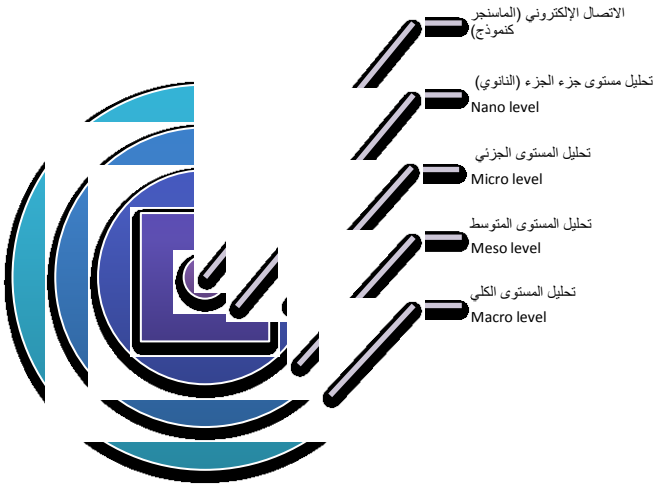

- [1] (شكل2: النموذج الرباعي لعملية الاتصال الالكتروني عبر الماسنجر، مارس 2020)

شرح النموذج:

إن الاقتراب البحثي من مركز الظاهرة المدروسة يزيد من توصيفها العلمي، وعمق تفسيرها، ويظهر طبيعتها الابستيمية أكثر، كما أن الابتعاد البحثي عن مركز الظاهرة المدروسة يقدم نظرة عامة عنها، ويوفر نظرة شاملة عن المتغيرات المحيطة بها، ويسمح بمعالجة البيئة المحيطة بالمركز، وتوفيقا بين الاقتراب والابتعاد البحثي كان النموذج أعلاه جامعا لكليهما، حيث التحليلين الكلي والمتوسط يعكس طريقة دراسة الظاهرة عن بعد بشكل كلي وعام، والتحليلين الجزئي والنانوي يعكس طريقة دراسة الظاهرة بشكل دقيق وخاص.

1.5 تحليل المستوى الكليMacro level:

يقوم هذا المستوى من التحليل على تفسير طبيعة العلاقة القائمة بين البيئة الاتصالية العامة من خلال حسابات الفايسبوك وحساب الماسنجر، أين يتم التركيز على طبيعة الاتصال في الحسابين، طبيعة المواضيع المطروحة والمتناولة فيهما، طريقة الاتصال بين أعضاء الفايسبوك والماسنجر، أشكال القائم بالاتصال في الماسنجر والفيسبوك، طبيعة المضامين في كليهما، أشكال رجع الصدى في غرف الدردشة في الماسنجر من جهة وحسابات الفيسبوك من جهة ثانية، التشويش والأنتروبي في هذه البيئة الرقمية والاختلافات الموجودة، مع إرفاق ذلك بالتحليل والتفسير.

2.5 تحليل المستوى المتوسط Meso level:

لا يتوقف التحليل المتوسطي في موضع الاتصال الماسنجري عند حدود الوسيلة فقط أو القناة الوسيط للاتصال فحسب بل يتجاوزه إلى كل عنصر من عناصر العملية الاتصالية وأبرزها المرسل والمستقبل حيث تغيرت خصوصيات المرسل والمستقبل في هذا النوع الاتصالي الجديد بشكل مختلف تماما، بعيدا عن تغيير الأدوار وإمكانية تبادل الأدوار في العملية الاتصالية الواحدة بين المرسل والمستقبل، حيث أصبح المرسل يملك خيار الظهور بالمواصفات السيكوسوسيولوجية والمهنية التي يريد من خلال إتاحة التطبيقات الجديدة للمستخدم وضع المعلومات التي يريد عن جنسه، وسنه ومهنته وهواياته، حتى ولو لم تكن هي نفسها المعلومات الحقيقية مما

[1] – المصدر: إنجاز الطالب

جعل المهتمين بتحليل الظواهر الاتصالية الرقمية أمام مشكلة معرفة الخصائص الحقيقة للمرسل المتخفي وراء حساب ماسنجري معين بصرف النظر عن المعلومات التقنية المتوفرة عنه في قواعد البيانات، والأمر نفسه ينطبق عن المستقبل مما جعل المتصلين أمام فرضية اتصال حقيقي بين مرسل ومستقبل وهميين، مما يزيد من تعقيد وغموض الظاهرة الاتصالية الحديثة مقارنة بسابقاتها خلال القرن الماض.

3.5 تحليل المستوى الجزئي Micro level:

يشكل هذا النوع من التحليل والمعالجة إنتقالا علميا بالفكر التنظيري من مستواه التجريدي الفيزيقي إلى مستواه التجسيدي الإمبريقي، حيث يتم مناقشة العملية للاتصال الالكتروني عبر الماسنجر من خلال محاججة الأفكار التنظيرية السابقة لبعض الباحثين من أمثال فيرابند، بيرس وسويدبرغ من حيث الإشارة إلى الأسس الواجب استخدامها عند المحاولات التأصيلية في ظل وسط أكاديمي تجاسري المعارف والتخصصات، هذا ما ستوجب إجراء توأمة معرفية بين التطبيقات الخاصة بالماسنجر وأصنافه مثل الماسنجر العادي والماسنجر لايت messenger lite، حيث أن إدراك وفهم آليات وخوارزميات الاتصال بين هذه الأنواع على اختلافها من شأنه أن ييسر للباحثين والمشتغلين في حقل النيوميديا لفهمه بشكل جيد، وتشخيصه بشكل دقيق وهذا ما يقدم بعد ذلك دراسات علمية رصينة عن الجمهور الرقمي، مما يفيد في استخلاص خصوصية هذا النوع من الجمهور وكذا طريقة التعامل معه في مختلف مناحي الحياة، كالتسويق، والتشخيص السوسيولوجي، الفهم السيكولوجي، ...الخ .

4.5. تحليل المستوى النانوي Nano level:

إن الانتقال التحليلي من الشق الميكروي إلى الشق النانوي يستوجب ضرورة إدخال التقانة في هذه المحاولة التأصيلية، إذ لا يمكن الاقتراب الدقيق والعميق من الظاهرة بالشكل المطلوب دون إحاطة تقنية بجوانبه، وهذا بالنظر إلى الطبيعة التقنية الخالصة لتطبيق ماسنجر، سيما في التعامل مع البيئة الرقمية لهذا النوع، حيث المرسل، المستقبل، الوسيلة، التشويش، المهارات الاتصالية كلها رقمية، فالمرسل عبارة عن عنوان ip فقط ولا يهم في الحياة الواقعية أن كانت كلها لشخص واحد أم لا؟ حيث يمكن أن يكون للشخص نفسه أكثر من حساب ماسنجري، أو العكس مجموعة من الأشخاص بحساب ماسنجري واحد فقط، وهو ما يزيد الظاهرة تعقيدا ويتطلب تجاسرا معرفيا بين ثلاث أركان معرفية كبرى، هي علوم الإعلام والاتصال لدراسة الموضوع، المنهجية والنظرية لوصفه بطابع العلمية، والشق التقني لفهمه بشكل عميق ودقيق، والأمر ذاته ينطبق على الوسيلة والمستقبل والتشويش.

خاتمة:

يشكل الاتصال الالكتروني عبر تطبيق ماسنجر أهم الأنشطة الاتصالية الرقمية، وأرضية للكثير من المستخدمين عبر العالم من خلال تزايد الأرقام الخاصة بمستخدميه في كثير من الدول، حيث بلغ 269 مليون مستخدم ماسنجري بالهند، 183 مليون بالولايات المتحدة الأمريكية، 123 مليون باندونيسيا، 120 مليون بالبرازيل، 82 مليون بالمكسيك، وهذا حسب إحصائيات 2019 كأكثر الدول التي يستخدم سكانها تطبيق ماسنجر.(businessofapps, 2019)

تحمل هذه الأرقام جملة من المؤشرات التي تستوجب ضرورة إيجاد طرق منهجية حديثة ونظريات مستجدة من أجل التشخيص العلمي الدقيق وفق المتغيرات الحديثة للبيئة الاتصالية خلال القرن الحالي، بشكل يمكّن من تقديم دراسات استشرافية

حول مستقبل الجمهور الرقم وآليات التعامل معه بشكل مضبوط ورصين، حيث تغيرت هذه البيئة من الحقل الميديائي إلى الحقل ما بعد الميديائي، وقد نتج عن كل هذا انزياحا ابستيميا في علوم الإعلام والاتصال، ومنعرجا مفاهيميا كبيرا يتطلب ثورة منهجية وتنظيرية من أجل مواكبة كل هذا التغير والتطور الكبير على مستوى الجانب الموضوعي.

بعد رصد الورقة البحثية لهذا الإشكال الابستيمولوجي العميق بين الشق الموضوعي الذي يشهد تغيرات جذرية عميقة، والشق المنهجي والتنظيري الذي لايزال يسير بخطوات متباطئة، اقترحت الدراسة مدخلا نظرية جديدة ومناهج متجددة قصد تحقيق توازن بن هذا وذاك، وتذليل الصعوبات أمام الباحثين من أجل محاولة فهم، تفسير وتحليل مختلف الظواهر الاتصالية في بيئتها الأكاديمية، وترتكز هذه الدراسة على تشكيل تجاسر معرفي بين البحوث الإثنوغرافية في البيئة الكلاسيكية والبحوث النيتنوغرافية في البيئة الرقمية، وفضلا عن إبراز طبيعة هذا النوع من الدراسات الجديدة، قصد توضيح الرؤية أكثر أمام الباحثين والمشتغلين في هذا المجال.

يعد النموذج الرباعي محاولة تأصيلية لتقديم نموذج يشرح أمام الباحثين المهتمين بالتنظير وإنتاج المعرفة العلمية، الآليات العلمية لدراسة الاتصال الرقم بشكل عام والماسنجر بشكل خاص، كما يمثل دعوة ابستيمولوجية وأنطولوجية للباحثين من أجل تقديم النقد البناء الذي يقدم الإضافة العلمية لمرجوة لهذا النموذج، سواء في شكل تأكيدي لمختلف النقاط ومستويات التحليل الأربعة التي يتضمنها، أو بشكل تفنيدي مما يزيد من رصانة وعلمية هذا النموذج، وذلك بعد تطبيقه لتفسير الظاهرة الاتصالية في بيئتها الرقمية.

قائمة المصادر والمراجع

1. Ana Thereza Nogueira Soares .(2018) .Epistemology, methods and theories of communication in the Big Data Era: a critical panorama of social media research . *Comunicação e sociedade*.181-167 ،
2. Birgit Bucher .(2020 ،02 17) .*global-messenger-usage-statistics* من ،2020 03 12 تاريخ الاسترداد . messengerpeople: https://www.messengerpeople.com/global-messenger-usage-statistics/
3. *businessofapps* من ،2020 03 12 تاريخ الاسترداد .(2019 ،01) . https://www.businessofapps.com/data/facebook-statistics/
4. Eldo C. Koenig .(2007) .*KNOWLEDGE STRUCTURES FOR COMMUNICATIONS IN HUMAN-COMPUTER SYSTEMS* .USA: A John Wiley & Sons, Inc., Publication.
5. Graig Smith .(20 02 ،2020) .*stats and fun facts*
6. DMR Business : تاريخ الاسترداد 12 03، 2020، من https://expandedramblings.com/index.php/facebook-messenger-statistics/

7. Ison Ray .(2008) .*Methodological challenges of trans-disciplinary research: some systemic reflections.*(المجلد 3)
8. Karen Waltorp, Jannie Møller Hartley Ida Willig .(2015) .Field theory approaches to new media practices .*Journal of media and communication research*.9 ،
9. Klaus Bruhn Jensen .(2011) .Meta-media and meta-communication – revisiting the concept of genre in the digital media environment .*Journal of media and communication research*.21-8 ،
10. الطيب البار. (2017). المجموعات الافتراضية و بنية الفضاء العمومي في الجزائر. *مجلة العلوم الإنسانية بسكرة* ، 143-156.
11. بيرنار ميج. (2005). *La ponsée communicationelle* (الإصدار دار توبقال للنشر). (أحمد القصوار، المترجمون) Grenoble: presses universitaires de Grenoble.
12. عبد السلام الزبيدي. (2020). *الميديولوجيا لدى ريجيس دوبريه فلسفة الانسان المبلغ*. تونس: الدار المتوسطية للنشر .